

التوحيد
أو
العقائد الإسلامية

تأليف
محمّد أحمد العدوي

مخرّج وتعليق
محمّد ناصر الدين البلباني

تحقيق وتعليق
زهة الشاويش

المكتب الإسلامي

مع تحيات إخواتكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhdeeth.com

خزانة اقراء العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

معتقدنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المجموعة

kawlhassan.blogspot.com

مع تحديث إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث

ahlalndeeth.com

خزانة الآثار العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

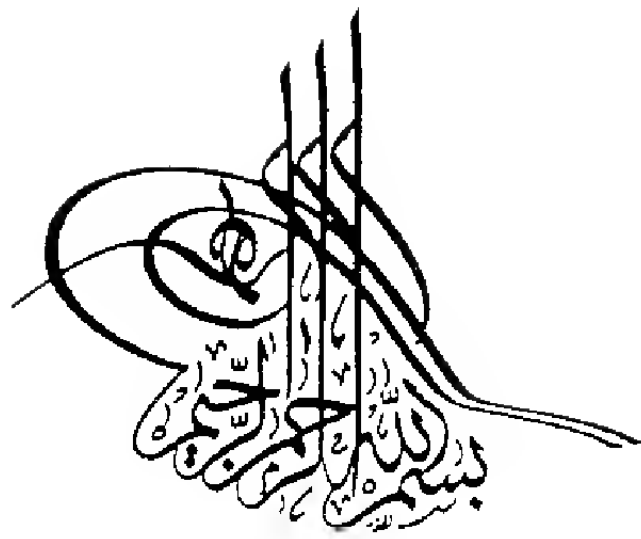
akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhasan.blogspot.com

:

التوحيد
أو
العقائد الإسلامية



التوحيد أو العقائد الإسلامية

تأليف
محمد أحمد العدوي

تخريج وتعليق
محمد ناصر الدين الألباني

تحقيق وتعليق
زهير الشاويش

المكتب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب. : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (١٥)

دمشق : ص.ب. : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

عمّان : ص.ب. : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن التوحيد والعقائد الإسلامية من أولى واجبات المسلم، وعليه أن يعرف ويتقن هذا الجانب الأعلى من حياته، لأنه كل ما يطمح المسلم في الوصول إليه، ليكون متمثلاً بما أمره الله به، وحمله إليه رسوله الكريم محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه وسلم .

وقد بين الله في كتابه الكريم، والرسول في أحاديثه كل ما يوصل إلى «التوحيد» وإلى معرفة «العقيدة»، فلو

التزم المسلم الوقوف عند هذه النصوص وتطبيقها، لما احتاج معها إلى شيء غيرها.

ولكن الواقع أن آيات الله وأحاديث رسول الله، لم تُترك على ما كانت عليه من صفاء العرض وصدق الغرض، بل داخلتها الآراء والأفكار والتفصيلات، وتبع ذلك التأويل، لكل نص تقريباً، حتى كاد الحق أن يضيع.

وقد أضيف إلى كل ذلك مصطلحات علم الكلام، وهو علم أغلب تفاصيله لا تؤدي إلى معرفة دين الله، فتوزعت الفهوم، وتنازعت الآراء. وأكاد أقول:

إنها أبعدت المؤمن عن دين ربه.

وانظر إلى ما يقوله بعضهم: «الله موجود في كل مكان» من غير أن يعرف أنه بذلك يضاهي الله بل يخالفه جل شأنه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).

والنصوص الكثيرة الدالة على ذلك.

(١) سورة فاطر: الآية ٥.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

مثل ذلك قول رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفرَ له»^(١).

وهذا كله العلو المطلق الذي يليق بجلال الله سبحانه وبِعظمته .

ويغفل هذا البعض القائل عمّا في قولهم من مخالفة للنقل والعقل، بل وتعكير لصفاء العقيدة التي جعلها الله سهلة مبسطة .

وهكذا أقوال أهل علم الكلام، وما أدخل فيه من تفاصيل غامضة، تصعب على فهم أهل الاختصاص من كبار أهل العلم، فضلاً عن صاحب الثقافة البسيطة .

وقد تنبه العلماء إلى هذا الضلال المتفشي بين بعض الذين ضل سعيهم من الناس .

فألَفَت الرسائل والكتب المبينة، وهي أكثر من أن تعد أو تحصى .

(١) رواه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

وكتابنا هذا على صغر حجمه، قد جمع أمهات المسائل معتمداً على الآيات القرآنية فقط، وكل كلام المؤلف - رحمه الله - إنما هو للربط بينهما، مما يجعله فريداً في بابه، وكأنه تفسير لبعض آيات القرآن الكريم المتعلقة بالمعتقد.

وقد حمل إلينا النسخة الأولى منه الأخ الفاضل الأستاذ عبد الرحمن الباني، من مصر حيث كان يدرس في أيامنا الأولى، وقمنا بتدريسها على مجموعات من الشباب والطلاب، حيث كنت أحد المسؤولين عن اختيار المواد للجماعة في سورية، مقرونة بكتاب «التوحيد» لشيخ الدعوة الإسلامية الإمام محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، وكتب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «العبودية»؛ وقد طبعته بعد ذلك مع مقدمة نافعة بينت ما فيه من المعاني بقلم الأستاذ عبد الرحمن الباني، وكتاب «التوسل والوسيلة» و«الفرقان» وغيرها.

ونفع الله بهذه الكتب، وقمت بطبعها كلها منذ زمن طويل.. سوى هذا الكتاب فقد سلمته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني أيام عمله في المكتب الإسلامي والتي دامت قريباً من أربعين سنة، لينظر فيه وبما فيه مما قمت به من تعليق عليه، ومنذ سنوات

تجاوزت العشرين، وفعلاً قدم لي عدداً من التعليقات.

والآن وبعد أن عمّ البلاء، وشاع الضلال، وكثرت الفتن، وجدت أن الوقت قد حان لطبعه، بتعليقات الشيخ الألباني رحمه الله وختمتها بـ (ن)، تمييزاً لها عن تعليقاتي السابقة واللاحقة التي أضفتها إليه تحقيقاً، تسهل على القارئ الوصول إلى المقصود. والله أسأل أن ينفع بطبعتنا هذه، كما نفع بباقي مؤلفات الشيخ العدوي، وبالذين سبقوه من أهل الدعوة الحقّة، إنه جلّ شأنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

زهير الشاويش

:

مع تحديث إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث

ahlalhdeeth.com

خزانة اقتران العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدةنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ
كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ (١).

وبعد: فقد مضى على المسلمين زمن غير قليل،
ومرجعهم في عقائدهم كتاب ربهم (٢)، ثم جاء دور التدوين
والتأليف فأضافوا إلى آيات العقائد شيئاً من الآثار، إلى أن
اختلفت الفلسفة بالعقائد فأكثر المتكلمون من كتب الجدل
ليطهروا العقائد مما لوّثها: فمنهم من وُفّق، ومنهم من
قارب.

(١) سورة التغابن: الآيات ١ - ٤.

(٢) وما صح لهم من حديث نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكتاب الله تعالى الذي هو عصمة للعقول لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يزال قائماً.

فوجب أن نأخذ منه العقائد، ونعوّل عليه في أصول
الدين^(١) ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّ

(١) هذا يومهم حصر أخذ العقائد من القرآن الكريم، وليس ذلك
بصواب لأنه مخالف لسبيل المؤمنين، فإننا نعلم بالضرورة أن
الصحابة رضي الله عنهم، كانوا لا يفرقون في العقيدة - شأنهم
في الأحكام والمعاملات - بين القرآن والحديث. وجرى على
ذلك التابعون فمن بعدهم، واتبعوا سبيلهم، لا يفرقون في
ذلك بين أصول الدين وفروعه، بل إن التفريق بينهما تفريق
مبتدع لا أصل له في الشرع، بل هو مخالف لنصوص كثيرة
منه في القرآن والسنة. ولقد كان من الآثار السيئة لهذا التفريق
أن استحل كثير من المتأخرين إنكار كثير من الأحاديث
الصحيحة بدعوى أنها آحاد وبمثلها لا تثبت العقيدة زعموا،
ورتبوا على ذلك أن المسلم مهما أنكر ما هو ثابت في
الشرع، فإنه لا يكفر إلا إذا كان الذي أنكره أصلاً من أصول
الدين، ولم يقيدوا ذلك بما إذا علم ثبوت ذلك عنده. والحق
الذي لا ريب فيه أن من أنكر شيئاً ثابتاً في الدين سواء كان
في الأصول أو الفروع فهو كافر إذا علم كونه من الدين، ومع
ذلك أنكره. فبهذا الشرط يكفر، لأن معنى ذلك أنه لا يصدق
الرسول ﷺ في كل ما جاء به، وما جاء به كله صواب،
فجحد أي شيء منه يعتبر طعناً فيه ﷺ. وذلك كفر بين.
وعلى ذلك إذا أنكر شيئاً وهو لا يعلم أن النبي ﷺ جاء به،
فلا سبيل إلى تكفيره إلا بعد تبليغه وإقامة الحجة عليه لقوله =

ذِكْرِي فَإِنَّ لَمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ ءَايَتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ ﴿١﴾ .

وقد رأيت أن أتكلم على أمهات العقائد، وأصول الدين، بأسلوب سهل لا يكلف الناظر نظم دليل على أسلوب المناطقة، ولا بحث مقدمات على نمط علماء الكلام^(٢).

بل ألفتُه إلى النظر فيما حوله من الآيات، وما يقع بصره عليه من عبر، ألفتُه إلى نفسه وما حوت من دقائق؛

= تعالى: ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، ولا مجال بعد ذلك للتردد في تكفيره، ولو زعم أنه لم يقتنع بذلك أو لم تطمئن نفسه به فإنه ينافي الإيمان به ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (ن).

لقد أوردنا نص كلام الشيخ الألباني كما هو، مع أن المؤلف رحمه الله لم يقصد عدم الأخذ بالسنة!!

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣ - ١٢٦.

(٢) يشير المؤلف - رحمه الله - إلى قواعد كتب علم الكلام ومصطلحات أهلها، وإنها لا يمكن أن تؤدي بهم إلى الإيمان بالله ورسله، بل هي سبيل الضلال كما هو معروف ومشاهد في أكثر من نظر فيها.

اللهم إلا من خرج منها بعد الابتلاء - بالجملة - مثل الأئمة أبي الحسن علي الأشعري، والغزالي ومن تبعهم سابقاً.

والى الأرض وما اشتملت عليه من عجائب النبات والأشجار، والأنهار والبحار^(١).

إلى غير ذلك من العبر كآيات الليل والنهار، والشمس والقمر^(٢)، فإن في ذلك وأمثاله ما يكفي لتثبيت يقينه، وتقوية إيمانه، أسلوب سهل على العامة فهم دينهم، ويُنقذ الخاصة من تكلفهم في استدلالهم وتشددهم في طريق الوصول إلى عقائدهم، وأرجو أن يقع من الأمة موقع القبول، وأن يكون سبيلاً لاتصال صاحبه بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه وتابعيه ومن سار بسيرهم واهتدى بهديهم.

(١) في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

(٢) بمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩].

وجوه الإله

مما أودع في الفطر، وارتكز في الطباع، معرفة
العاملين بآثارهم، والصنّاع بصنعتهم، ولذلك ترى نفسك
وقد وقع بصرك على قصرٍ حسن المنظر محكم البناء، قد
استولت عليك الدهشة من مهارة بانيه، ونبوغ صايعه،
وترى لسانك يسابق نفسك إلى امتداح واضعه والثناء عليه.
وإذا مررت ببستان قد أحكمت تقاسيمه، ونُسقت
أشجاره، ونظمت أزهاره، لفتك ذلك الشكل البديع إلى
حسن ذوق راسمه، وسلامة فطرته.

وإذا مررت بأثر من الآثار العظيمة كبناء الإهرام^(١)
علمت أن البانين له من قدماء المصريين، كان عندهم من
آلات رفع الأثقال ما تمكنوا به من بنائه.

وإذا دخلت دار الآثار، ورأيت من جثث الأقدمين ما
مضى عليه عشرات القرون وآلاف السنين، عرفت أن

(١) ومثلها ما نشاهده في قلعة بعلبك، وأبنية مدن تدمر، وجرش،
وصور، وبابل، وإهرامات مصر وما ماثلها وشابها عند سكان
لبنان وسورية والعراق ومصر.

المصريين كانوا يعلمون من فن التحنيط ما لا نهتدي إليه حتى الآن.

إذا كان ذلك هو الذي تقتضيه الفطرة، وتستلزمه طبيعة الإنسان، وهو أن تنتقل النفس من الأثر إلى المؤثر فيه، ومن عظم البناء إلى عظم بانيه، فمن الطبعي أن تعرف من ذلك الكون أن له رباً دبره وخالقاً برأه، من البدهي أن تعرف أن لذلك العالم إلهاً رفع سماءه، وبسط أرضه، وأرسى جباله، وأجرى بحاره. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦) ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٧) ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٨) ﴿١﴾.

من المعقول أن نعرف الإله بآثاره، ونصل إليه بدلائل قدرته، وما أحسن قول الأعرابي وقد سأله الأصمعي^(٢):
بم عرفت ربك؟ فقال:

(١) سورة ق: الآيات ٦ - ٨.

(٢) الأصمعي: هو عبد الملك بن قُريب بن أصمع الباهلي منسوب إلى جده - أبو سعيد، راوية العرب، وأحد أئمة العلم واللغة والشعر. وكان كثير التطواف بالبوادي، ويتلقى الأخبار، ويتحف بها الخلفاء. ومع علمه الغزير لم يكن من أهل الثقة فيما ينقل، ولكن لا يستغني عنه طالب العلم. وله العديد من المؤلفات في الأدب والشعر. ولد سنة ١٢٢هـ، وتوفي سنة ٢١٦ هجرية. ولا يكاد يخلو كتاب في العلم من أخباره.

«البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير».

قاله ذلك الأعرابي بسلامة فطرته، وطهارة نفسه، لأنه نظر في الكون نظر عظة واعتبار، وفكر وادّكار. ولو نظرنا كما نظر الأعرابي لرأينا من آيات الله ما لا يقف عند حدّ، ولا ينتهي عند غاية، لو تأملنا قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَماً فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ (١).

لعرفنا أن من يستطيع أن يحوّل الطين اللازب إلى ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يحوّل النطفة إلى علقة، والعلقة إلى مضغة، ثم يحوّل المضغة إلى عظام، فيكسوها لحماً، ثم ينشئها خلقاً آخر فيشق لها عيناً تبصر، وأذناً تسمع.

جدير بأن تخضع له الرقاب، وتذل له النفوس، لو نظر الإنسان إلى طعامه كيف صب الله الماء صباً، ثم شق له الأرض شقاً، فأثبت له ما يحتاجه في حياته، ويتطلبه في

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤.

معيشته، أو نظر كيف يتعاقب الليل والنهار، وكيف تُسِير السفن بواسطة الهواء في البحار^(١)، وكيف سُخِّرَ لَهُ الشمس والقمر، وكيف اختلفت الألسن، وافترقت الألوان؟

على أن الكلّ لآدم وآدم من تراب، لرأى من ذلك كله العجب العجائب، وعرف أن في كل شيء آية ناطقة، وبرهاناً ينادي بأن لذلك العالم رباً مهيمناً عليه، وإلهاً متصرفاً فيه، على وفق الحكمة، ومنتهى الإتيقان.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) (٢).

وأعجب من هذا وأغرب: قول الله تعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَعَلْتُ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ

-
- (١) وقد مضى على تأليف هذا الكتاب ما يقارب السبعين سنة، وفيها تطورت وسائل النقل كثيراً بما هو مشاهد.
- وقد عرف الناس - الآن - من أصول الزراعة أنواعاً كثيرة، غير ما كانت تعرف عند السابقين.
- وهي في حقيقتها تدل على قدرة الله جل شأنه.
- (٢) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِعَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

فانظر كيف فَضَّلَ الله بعض الثمار على بعض، فجعل
فيها الحلو والحامض، والحار والبارد، على اتحاد مائها
الذي يغذيها، والشجرة التي تحملها، بل قد يتحد الغصن
وتتفاوت الثمرة، وقد تختلف الثمرة الواحدة فيكون لكل
جانب منها طعم خاص.

أليس ذلك من أكبر الأدلة على أن لها رباً حكيماً
أعطى كل شيء خلقه، ووهبه من الخصائص ما يتناسب مع
استعداداته، ويتمشى مع سننه.

(١) سورة الرعد: الآية ٤.

تنزهه تعالى عن مشابهة غيره

إذا كان ذلك العالم البديع الصنع لا بد له من إله يدبره، وخالق يهيمن عليه، فليس من المعقول أن يشبه ذلك الإله شيئاً من خلقه، لا يشبهه في ذاته، ولا يماثله في صفته، ضرورة أن الله تعالى خالق، والعالم مخلوق والله غني عن خلقه، والعالم فقير إليه، وكيف يماثل مخلوق خالقه، أم كيف يشبه عبد ربه، وكيف يداني فقير من جميع جهاته غنياً مطلقاً، يمنح غيره الوجود، ويهبه الحياة.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١) وَإِذَا كَانَ الْعَبْدَ وَالرَّبَّ لَا يَتَمَثَّلَانِ، والمخلوق والخالق لا يتشابهان، وكان للمخلوق مبدأ ونهاية، وجب أن يكون الإله هو: (الأول والآخر) الأول: بلا ابتداء، والآخر: بلا غاية.

وإذا كان للمخلوق أن يؤتى القليل من العلم - فإن لله الاطلاع الكامل، والعلم المحيط.

(١) سورة النحل: الآية ١٧.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧) ﴿١﴾ .

وإذا كان للمخلوق استطاعة محدودة، ومشية لا تعدو مشية الرب، فإن لله القدرة التامة، والمشية النافذة:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ﴾ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴿٢﴾ .

وإذا كان من شأن العبد أن يُسأل عما يفعل، لأنه يخطئ ويصيب، فليس ذلك من شأن الخالق، لأنه الحكيم الذي لا يعبث، والعدل الذي لا يجور:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣) ﴿٣﴾ .

وإذا كان من شأن العبد إذا داوم على العمل أن يلحقه العي^(٤)، ويعرض له الملل، لأنه محدود القدرة ضعيف الاستعداد، فليس ذلك من شأن الرب ذي القوة المتين:

(١) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٢) سورة البروج: الآيات ١٢ - ١٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٤) أي العجز والكسل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٣٨) ﴿١﴾.

فالمخلوق لا يشبه الخالق في صفته، كما لا يماثله في
ذاته، ولا يدانيه في كمالاته، كما أنه لا يقاربه في حقيقته،
فله المثل الأعلى في السماوات والأرض:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢) (٣).

(١) سورة ق: الآية ٣٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) وقد ذكر الله جل شأنه عدم المثلية له من خلقه في شيء.
وذكر أنه السميع والبصير، وهما صفتان متغايرتان له جل
شأنه. وليستا مثل ما عند البشر في وجه من الوجوه، وهذا
يخالف ما عند الزاعمين تنزيه الله، وما هو إلا التعطيل.
وفي هذا إسقاط لكلام أهل الكلام وأتباعهم من المخرفين.
وتنزيه الله عما يقوله الظالمون... وتأکید بأن لله الصفات
العلی.

وحدة الإله

لا نزاع في أن كل عمل من الأعمال لا غنى له عن مرجع يُشرف عليه، ورياسة ينتهي أمره إليها، يكون لها السلطان التام على ذلك العمل.

وقد دلت التجارب على أن العمل لا يصلح برئاستين، ولا ينتظم بسلطتين، فالبيوت والمنازل يختل نظامها وتسود فيها الهمجية، إذا لم يكن لها رئيس حازم، يدبر شؤونها، ويختص برعايتها.

والمدرسة تنتشر فيها الفوضى، إذا لم تتوحد سلطتها في ناظر يتولى أمرها، ويدبر عملها.

والمتجر يبقى ما دام على رأسه مدبر، له فيه النفوذ المطلق، والتصرف التام.

ذلك الذي نُحِثُّه من أنفسنا، ونشعر به في أنظمتنا، هو الآية الناطقة بأن لذلك الكون إلهاً واحداً:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (١).

(١) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠، ٢١.

ولو كان معه شريك في الملك، أو له معين في العمل، لأختل نظام السماوات وما فيها من كواكب، والأرض وما تحويه من أنهار وبحار، ونبات وأشجار:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) ﴿١﴾.

فوجود إلهين مدعاة للنزاع الدائم، والغلبة المستمرة، فإن من شأن الإله أن يكون صاحب السلطان المطلق، والسيطرة التامة، وليس له أن يخضع لغيره، أو يتفق هو ومن ينازعه؟

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٩١) ﴿٢﴾ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٢).

وكيف ينتظم حال عبد له آلهة متباينة، يختلف كل عن الآخر في أوامره ونواهيه، يحب أحدهما من الطاعات ما لا يحبه الآخر، ويُبغض من المعاصي والمنكرات ما لا يبغض؟ أم كيف يستقيم أمر عبد وقد تعددت ملاكه، وتنازعت فيه الشركاء، وكل يريد أن يضمه إليه، ليكون

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٩١، ٩٢.

عبد المطيع، وخادمه المخلص؟ وهل يستوي ذلك العبد هو وعبد ليس له إلا سيد واحد، يعرف ما يحبه منه فيسارع إليه، وما يسيئه فيجتنبه؟:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾^(١).

ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون ما سكتوا عن مناوئته، ولاتخذوا طريقاً إليه ليغالبوه الأمر، وينازعوه الملك، وما رضوا له أن يستوي دونهم على عرشه، ويتصرف في خلقه:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ الْمَرَجَّ سَبِيلًا﴾^(٢) ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾.

وقد قرّره الله تعالى بالحجة تلو الحجة، والدليل عقب الدليل، حتى لا يجدوا إلى إنكار وحدة الله تعالى سبيلاً، إذا كانوا منصفين، ويعترفوا بانفراده بالخلق والأمر إذا كانوا للحق طالبين:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاثٍ بَهْجَةً مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا

(١) سورة الزمر: الآية ٢٩.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٤٢، ٤٣.

شَجَرَهَا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ
بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا لَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ
اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴿١﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا
تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة النمل: الآيات ٦٠ - ٦٤.

(٢) سورة القصص: الآيات ٧١ - ٧٣.

قدرة الله ومشيئته

من دلائل قدرة الله تعالى ومشيئته، أن سُخِّرَتْ له الكائنات، وسجد لعظمته من في الأرض والسموات، سجدوا لعظمته وفيهم الطائع والكاره، والمختار والمضطر:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ﴾ (١٥) ﴿١﴾.

لأن الكل عبد لله تعالى خاضع، لا يعدو حده، ولا يتجاوز قدره:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) ﴿لَقَدْ أَخْصَنَّمْ وَعَدَّهَمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥) ﴿٢﴾.

﴿ثُمَّ أَسْتَوِيَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١١) ﴿٣﴾.

(١) سورة الرعد: الآية ١٥.

(٢) سورة مريم: الآيات ٩٣ - ٩٥.

(٣) سورة الدخان: الآية ١١.

سخر الله للإنسان الفلك في البحار، وشق له من الأرض الأنهار، كما سخر له الشمس والقمر، وجعل النهار يعقبه الليل، والليل يتلوّه النهار:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ (١).

من آيات قدرته، أن نرى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله، ومن دلائل حكمته أن خلقنا من ماء مهين، فجعله نطفة في قرار مكين، وأنه يحفظ الحبة في جوف الأرض من الهوام والحشرات، ثم ينبت بها النبات الحسن، حتى تصير زرعاً يأكل منه الأنعام والادميون، ولو شاء لجعله هشيماً قابساً.

وينزل من السماء ماء بقدر فيسكنه الأرض، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً، تمجه النفوس، وتنفر منه الطباع. يجعل لنا من الشجر الأخضر ناراً هي ضرورة للحياة، ولازمة للمعيشة:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

(١) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢، ٣٤.

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ
 أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ
 فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ
 الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا
 لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
 ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا
 فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ
 شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرَمْتًا
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴿١﴾

يرينا أنه خلق السماوات بغير عمدٍ تحملها، وألقى في
 الأرض رواسي مخافة أن تضطرب بمن عليها، وجعل فيها
 من كل دابة، وأنزل من السماء ماء فأنبث من كل زوج،
 ويتحدى المشركين بأن ذلك خلقه وتلك آثاره فماذا خلق
 غيره:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن
 تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة الواقعة: الآيات ٥٨ - ٧٤.

(٢) سورة لقمان: الآيتان ١٠، ١١.

يرينا أنه خلق كل دابة من ماء، وجعلها أشكالا مختلفة، وصوراً متباينة كما قضت به حكمته، وسبق به علمه:

﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

يلفتنا إلى تحويلنا من حال إلى حال، وتنقلنا من طور إلى طور، يخلقنا أطفالاً ضعفاء، ثم يجعلنا شباباً أقوياء، ثم شيوخاً شيباً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤) (٢).

كل هذه الآيات والعبر، من سماء رفعها، وأرض بسطها، وجبال أرساها، وأنهار شققها، وبحار أجراها، وفلك سيرها، وكواكب أنارها، ونطف صورها، ومياه أنزلها، وزرع أنبتة، وشجر أنشأه: دلائل واضحة، وآيات ناطقة، بأن لها رباً قادراً حكيماً، له الخلق والأمر، يعمل حسب مشيئته، ويمضي وفق علمه، يعطي الملك ويمنعه، يعز ويذل، بيده الخير وإليه المصير:

(١) سورة النور: الآية ٤٥.

(٢) سورة الروم: الآية ٥٤.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
 مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ (١).

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٢٦ ، ٢٧.

حياة الله تعالى وعلمه

متى قامت الأدلة على أن لذلك العالم إلهاً دبره، له ملك السماوات والأرض، يقوم على كل نفس بما كسبت، وجب أن يكون حياً حتى يمنح غيره الوجود، ويهبه الحياة، ولو كان ميتاً ما استطاع ذلك، لأن الفاقد للشيء لا يعطيه، والمحروم من المزية لا يفيدها: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١).

وكيف يوصف بالقدرة التامة والمشیئة النافذة، والعلم المحيط والرحمة الواسعة، من فقد صفة الحياة؟ أم كيف يقوم بتدبير هذا العالم الكبير من عرشه لفرشه، من تعرض له الغفلة، أو يجوز عليه ما يطراً على المخلوق، من نوم، أو نعاس^(٢)؟

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا

(١) سورة غافر: الآية ٦٥.

(٢) وفي هذا الرد على الزاعمين أن الله جعل في الناس الأقطاب والغوث وأمثال ذلك، وفوضوا لهم التصرف في الكون. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ .

وإذا كان الله تعالى هو الذي خلق ذلك العالم، وأبدع ذلك الكون، خلقه كما أراد، وأبدعه كما شاء، فلا بد أن يكون عالماً بما أبدع، محيطاً بما خلق، ومن المحال أن يخلق خلقاً وهو لا يعلمه، ويبدع كوناً وهو لا يعرف تفاصيله :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ﴿٢﴾ .

من المحال أن يخلق السماوات وما أظلت، والأرض وما أقلت، وهو لا يعلم ما فيهما من نبات وأشجار، وجبال وبحار، وكواكب تضيء، ودواب قد اختلفت أشكالها، وأناسي تباينت لغاتها :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣﴾ .

من المحال أن يربي النطف في الأرحام، وينقلها من طور إلى طور، فمن نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الملك: الآية ١٤ .

(٣) سورة الحديد: الآية ٤ .

مضغة، ومن مضغة إلى عظام، ثم يكسوها لحماً وينشئها خلقاً آخر.

وهو لا يعلم أطوارها، ولا يدري ما يحيط بها، من صحة وفساد، وزيادة ونقص:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾^(١).

فهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم ما توسوس به النفس من خطرات، وما يلم بها من أحاديث:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَنِدٌ ﴿١٨﴾﴾^(٢).

[عنده مفاتيح الغيب]

مفاتيح الغيب بيده، وعلم المستقبل موكل إليه، لا يحيط به غيره ولا يدريه سواه:

(١) سورة الرعد: الآيات ٨ - ١٣.

(٢) سورة ق: الآيات ١٦ - ١٨.

﴿عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩) (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢٤) (٢) (٣).

سمع الله تعالى وبصره

لا نزاع في أنه لا يستوي بصير وأعمى، ولا سميع وأصم، كما لا تستوي الظلمات والنور، ولا الظل ولا الحرور:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤) (٤).

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٣) كان من السائد بين الناس أن علم ما في الأرحام هو ما في بطون الحوامل، مع أن المقصود هو ما في الأرحام من قبل ذلك، وكم فسح الله فيما علم الناس من الأمور مما كان مجهولاً عندهم. وكله - والحمد لله - يدل على عظمة الله جل شأنه.

(٤) سورة هود: الآية ٢٤.

فالفرق بين البصير والأعمى، والسميع والأصم، بدهي لا يحتاج إلى دليل، ولا يتوقف على نظر، وإن من يعبد إلهاً لا يسمع من دعاءه، ولا يرى عابده، قد سَفِهَ نفسه، وفقد رشدَه، ولذا يقول خليل الله إبراهيم:

﴿يَتَأْتَى لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(١).

فهو يبكته على عبادة إله قد تجرد عن هذه الخصائص، وخلا عن هاتيك المزايا، وما ذاك إلا لأن المودع في الفطر، أن هذه كمالات لا يصح أن يخلو الإله المعبود منها، ولا يليق أن يتصف بما يقابلها.

وقد كان من أشد الحجج تأثيراً على عباد الأصنام قول إبراهيم عليه السلام:

﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾^(٢).

فالإله الذي يستحق أن تخضع له الرقاب، وتؤلَّههُ النفوس، وتفرده بأرقى مراتب المحبة والإكبار، هو السميع لشكاية عبيده، البصير بأعمال خلقه، يسمع سرهم ونجواهم، ويرى صغيرهم وكبيرهم:

(١) سورة مريم: الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٧٢، ٧٣.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١).

يستغيثه نبي الله موسى وأخوه هرون من فرعون وبطشه، فيطمئنهما بأنه معينهم وناصرهم، يسمعهم إذا استعانوا به، ويراهم إذا قرط عدو الله عليهم، فلا يهمهم بطشه، ولا يضرهم وعيده، ولا غنى لهم عن تبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٤٤) ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا خَافُ أَنْ يَقْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٤٥) ﴿قَالَ لَا خَافَا مِنِّي مَعَكُمْ أَتَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٤٦) ﴿فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٤٧) (٢).

وجدير بعبد يعرف أن له إلهاً يراه في خلوته وجلوته، وسره وعلايته، أن يخلص له العبادة، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥) (٣).

(١) سورة المجادلة: الآية ١.

(٢) سورة طه: الآيات ٤٤ - ٤٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

كلام الله تعالى

كما أن الفِطْرَ لا تسوي بين أعمى وبصير، ولا بين أصم وسميع، هي لا تسوي بين أبكم لا يستطيع النطق، ومتكلم يأمر بما يحب، وينهى عما يُغض:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ (١) ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَدٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ (٢) ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ (٣).

وقد كاد نبي الله إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه الذين فُتِنُوا بعبادتهم، فجعلهم فُتَاتًا عدا الصنم الأكبر فيهم، ليرجعوا إليه إن كانوا مفكرين، ويناقشوه الحساب، إن كانوا لعقولهم مستعملين، حتى إذا سألوا ذلك الصنم فلم ينطق، وناقشوه فلم يتكلم، رجعوا إلى رشدهم، وعرفوا أنهم ظالمون لأنفسهم، بعبادتهم أصناماً صنعوها بأيديهم:

(١) سورة النحل: الآية ٧٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٨.

(٣) سورة طه: الآية ٨٩.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾
قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهَتِنَا يَبْنَازُهُمْ ﴿٦٢﴾
قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَشْتَوْهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾
فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (١).

ومن عبد إلهاً عاجزاً لا ينطق إذا حلّ به مكروهه، ولا يتكلم إذا ناله سوء، فهو رجل أحمق، قد سَفِهَ نفسه، ونقص مقام الإلهية حقه، وكيف يستحق العبادة إله ليس له من صفة الكلام، ما تُعلم به أوامره ونواهيه، أم كيف يكون له رسل يبشرون وينذرون؟ ينشرون دعوته، وبلغون دينه، فدل ذلك كله على أن من كمال الإله أن يكون له صفة ذاتية، يُعلم بها من يشاء من عباده متى شاء، وهذا الإعلام هو التكليم والوحي.

وليس لنا أن نبحث عن كيفية كلامه القديم (٢)، ولا عن كيفية تكليمه لرسله وإيحائه إليهم، فإن ذلك شأن من

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٥٧ - ٦٤.

(٢) لفظ (القديم) جديد على المعتقد. ولم يستعمله السلف.

شئونه لا يحدده غيره، ولا يعرفه سواه، فنؤمن بذلك^(١).

(١) قلت: إن كان يعني البحث في صفة الكلام الإلهي بمجرد العن والرائى كمثلى القول بالكلام النفسى؁ فلا غبار علىه. وإن كان عنى بذلك التمهيد لنفى شىء تلزم منه نفى أو على الأقل الشك فى حقيقة الكلام الإلهى مثل كونه كلاماً مسموعاً؁ فذلك مردود علىه لثبوت ذلك فى السنة المفسرة للقرآن؁ مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

«إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا؁ فيصعقون؁ فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل؁ حتى إذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم؁ قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول الحق؁ فيقولون: الحق الحق».

أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. ورواه البخارى (٤٧٦/٤) معلقاً موقوفاً على ابن مسعود بلفظ: «... فإذا فزّع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق». وراجع «فتح البارى» (٣٨١/١٣ - ٣٨٢)؁ وله شاهد من حديث أبى هريرة مرفوعاً نحوه. أخرجه البخارى والترمذى (٢٦٣/٢) وصححه وابن ماجه (١٩٤)؁ وراجع تفصيل الكلام فى صفة الكلام على نهج السلف فى «شرح العقيدة الطحاوية» (١٦٨ - ١٧٩).

ثم إن وصف كلام الله تعالى بـ(القديم) فيه نظر على طريقة السلف؁ لأن ذلك مما لم يرد عنهم.(ن)

وانظر «صحيح سنن أبى داود - باختصار السند» ٣٩٦٤؁ و«صحيح سنن الترمذى - باختصار السند» ٢٥٧٥؁ و«صحيح سنن ابن ماجه - باختصار السند» ١٦٠؁ و«صحيح الجامع =

ونؤمن بأن القرآن كلام الله تعالى الذي أنزله على خيرة خلقه نبينا محمداً ﷺ، وهو معجزته الدائمة، وحجة الله القائمة، ليس قولاً للبشر، وإنما هو كلام واهب القوى والقدر، سمعه المشرك والموحد، والمؤمن والملحد، من اهتدى به رُشد، ومن أعرض عنه ضلّ وهلك:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٢٤)
 قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴿١﴾.

أفعال الله تعالى وحكمته

إن لله تعالى في خلقه شئونها لا يعلم حدها غيره، ولا يحيط بها سواه، بيده وحده الإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال:

= الصغير» ٤٣٦. للألباني طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج - إشراف زهير الشاويش.

وعلى كل حال فإن ما توهمه الشيخ الألباني من كلام المؤلف التمهيد الشك في حقيقة كلام الله!! شيء لا دليل عليه من قول المؤلف - رحمه الله - وكلامه لا غبار عليه. وآخر كلامه واضح من غير لبس ولا غموض.

(١) سورة طه: الآيات ١٢٣ - ١٢٦.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ (١).

لا مانع لما أعطاه، ولا معطي لما منعه، من هداه فلا
أحد يضلّه، ومن أضله فلا هادي له سواه.

وهو في كل شؤونه لا يعدو حدّ الحكمة، ولا يتخطى
قانون العدل، كتب ذلك على نفسه، يهدي من أقبل عليه،
واستمع لداعيه، ويضل من أعرض عن دعوته وأصمّ أذنه
عن سماع الحق:

﴿سَاصِرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَإِنْ يَرَوْا كُتْلًا ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ (٢).

يضع كلا حيث وضعه عمله، ويجزيه عليه الجزاء
الأوفى، لا يسوي سبحانه بين خبيث وطيب، ولا بين
مصلح ومفسد:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٦.

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَجَّيَهُمُ وَمِمَّا هُمْ سَاءٌ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ (١).

يُمدّ من يعمل للدنيا، ويعين من يعمل للآخرة، كل
حسب استعدادة، ومقدار نشاطه، فمن كانت الدنيا همه،
وعمل لها، عجل الله له فيها من الرزق ما شاء أن يعجل
له، وجعل النار عاقبته، ومن عمل للآخرة وهو مؤمن
بربه، واثق ببلقائه، شكر الله له سعيه وأثابه مع من أثاب:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ (٢).

فهو سبحانه يعطي الدنيا من يعمل لها، أحبه الله أم
كرهه، ولا يعطي الدين إلا من أحبه، فليس المال أمانة
الرضا، بل هو ابتلاء من الله تعالى كسائر النعم، لينظر
أيقوم العبد بحقه أم يحارب به مولاه؟

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ (١٥) (٣).

(١) سورة الجاثية: الآية ٢١.

(٢) سورة الإسراء: الآيات ١٨ - ٢٠.

(٣) سورة التغابن: الآية ١٥.

حاجة الناس إلى الرسل

كَانَ النَّاسُ وَلَا يَزَالُونَ ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مُشْتَبِكَةً
المصالح، مرتبطة الحاجات، لا يستطيع واحد من الأمة أن
يعيش وحيداً كما يعيش بعض الحيوانات والوحوش،
وتراهم بفطرتهم مدفوعين إلى الحصول على طرق معاشهم،
وسبل حياتهم، يدفعون عن أنفسهم ما يعتقدون ضرره،
ويجلبون لها ما يرون نفعه.

وكثيراً ما يخطئون في تحديد النافع والضار، فقد يكون
الشيء نافعاً عند قوم، ضاراً في نظر آخرين، فإذا تركوا
وشأنهم في تحديد مصالحهم فلا غنى لهم عن الخلاف، وهو
شر مستطير على الإنسان الذي خلقه الله لعمارة الأرض.

فكان من حكمة الله تعالى أن يرسل رسلاً هم المرجع
عند الاختلاف، والموئل عند التنازع:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا
اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفوا فيه مِنْ
الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢١٣) (١).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

من لطف الله بخلقه أن بعث فيهم رسلاً مبشرين ومنذرين، يعرفونهم الفضائل ويدعونهم إليها، ويبينون لهم الرذائل وينفرونهم منها، يعلمونهم ما يصلح دنياهم التي فيها معاشهم، ودينهم الذي هو عصمة أمرهم، جعلهم الله رحمة للعالمين، ليهدي بهم من الضلالة، وَيُنْقِذَ بِهِمُ مِنَ الْجَهَالَةِ، يفتح بهم أعيناً غُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وقلوباً غُلْفًا، يؤلف بهم القلوب بعد شتاتها، ويوضح بهم المحجة بعد خفائها، فهم من الأمم بمنزلة الروح من الجسم، والنور من الظلمة.

يحيي الله تعالى بروح رسالتهم من أماتته ظلمة الجهل، وينير بهداية بعثتهم من أعمته الشهوات، واستهوته الشياطين:

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ^(١).

أرسلهم الله تعالى أئمة للمتقين، ومنازراً للسائرين، لتكون لله على العصاة الحجة البالغة، فتقطع أعذارهم إذا حقت عليهم كلمة العذاب، وتُخرس ألسنتهم إذا قدموا في آخرتهم للعقاب:

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١١٥) (١).

يعلمون الناس أن لهم ربًّا يُرجى ثوابه، ويُخشى عقابه،
لم يخلق الناس عبثًا، ولم يتركهم سدى.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥)
فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْكَرِيمِ (١١٦) (٢).

يعرفونهم أن لهم حياة وراء هذه الحياة يحصّد الناس
فيها ما يزرعون ويجدون عندها ما يقدمون، يحاسبون فيها
على الصغير والكبير، والعظيم والحقير:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَأِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا
حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) (٣).

لا يُحلّون لهم إلا ما تطيب به نفوسهم، وتتهذب به
أخلاقهم، وتصح به أجسامهم، ولا يحرمون عليهم إلا ما
يلوث فطرتهم، ويفسد عقولهم، ويمرض أجسامهم،

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ١١٥، ١١٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

يأمرونهم بما تعرفه الطباع من الفضائل ، وينهونهم عما
تنكره النفوس من الفواحش :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (١).

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

الأنبياء والرسل وصفاتهم

أختار الله تعالى من بني الإنسان طائفة اختصها بعلو في الفطرة، ورجاحة في العقل، وعصمها عن كل ما يشوّه السيرة البشرية من الفواحش الظاهرة والباطنة، لتكون للناس أسوة حسنة، وقدوة صالحة.

فمن أختاره الله تعالى لذلك المنصب، ولم ينزل عليه شريعة يبلغها للناس فهو نبيّ وليس برسول، ومن كلفه مع ذلك بشرع يبلغه للناس، ويحملهم بالحجة والبرهان على العمل به، فهو نبي ورسول.

ولا بد للرسول مع ما تقدم من الخصائص من الأمانة في تبليغ كل ما عهد إليه أن يبلغه، وسلامة بدنه مما تنفر منه الأذواق السليمة، وتنبو عنه الأبصار، لأن ابتلاءه بشيء من ذلك يصرف الناس عنه، فلا يتم الغرض من بعثته، وهو جمع الناس عليه، والتفافهم حوله، ولو انحطت فطرهم، أو ضعفت عقولهم، لم يكونوا أهلاً لذلك المنصب الجليل الذي اختصهم الله تعالى به، ولو كذبوا أو خانوا لضعفت ثقة الناس بهم، ولكانوا مضللين لا مرشدين، فتذهب الحكمة من بعثتهم.

وهم فيما عدا ذلك كبقية البشر، يأكلون ويشربون،
ويتناكحون ويمرضون، وتمتد إليهم الظلمة وقد يقتلون،
ونقف عن تحديد عددهم^(١).

(١) قلت: كأنه يعني أنه لم يصح في عدد الأنبياء والرسل شيء،
وذلك غير مسلم في الرسل، فقد أخرج الحاكم في
«المستدرک» (٢/٢٦٢) من طريق معاوية بن سلام حدثني
زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامة:

«أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم معلم
مكلم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشر قرون، قال: كم كان
بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشر قرون، قالوا: يا رسول الله كم
كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمس عشرة جمّاً غفيراً».

أخرجه الحاكم (٢/٢٦٢) وقال:

«صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي، وهو كما قال. وقد
أخرج شطره الأول ابن منده في «التوحيد» (ق ١٠٤/٢) وعند ابن
عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٣٢٥) وقال ابن منده:

«هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري،
وروي من حديث القاسم أبي عبد الرحمن وغيره عن أبي
أمامة، عن أبي ذر بأسانيد فيها مقال».

قلت: وحديث أبي ذر أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٤٧٨)
قال: حدثنا المسعودي عن أبي عمر الشامي، عن عبيد بن
الخشخاش، عن أبي ذر به دون قضية نوح وإبراهيم.
وكذلك أخرجه أحمد (١٧٨/٥) [٢١٥٣٥] وابن سعد في
«الطبقات» (١/٢٦ - طبع أوروبا) [٣٢/١] دار صادر بيروت
[١٩٥٧م].

ونؤمن بما قصه القرآن علينا من أخبارهم، وهم مع

= قلت: وهذا إسناد فيه مقال كما تقدم عن ابن منده، عبيد بن الخشخاش لين كما في «التقريب»، وأبو عمر الشامي قال الأزدي: «متروك». والمسعودي كان اختلط. ومن طريقه أخرجه البزار والطبراني في «الأوسط» مجمع (١/١٦٠). وله طريق أخرى، أخرجه ابن حبان وابن مردويه من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به. قلت: وإبراهيم هذا متروك. قال الذهبي: مشاه ابن حبان فلم يصب.

وله طريق ثالث أخرجه الحاكم (٢/٥٩٧) عن يحيى بن سعيد السعدي البصري؛ ثنا عبد الملك بن جريج، عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي، عن أبي ذر به. وسكت عليه الحاكم وقال الذهبي:

«قلت السعدي ليس بثقة».

وأما حديث أبي أمامة فيرويه معان بن رفاعه حدثني علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة.

وهذا إسناد ضعيف، معان بن رفاعه وعلي بن يزيد ضعيفان كما قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/٢٩).

وفيه وفي حديث أبي ذر من الطريق الثانية والثالثة زيادة:

«كم النبيون قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي».

وروي عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً:

«بعث الله تعالى ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل».

أخرجه أبو بكر الشافعي في «الفوائد» (ق ٧٩/٢) والحاكم (٢/٥٩٧) =

اشتراكهم في هذه الصفات قد فضل الله تعالى بعضهم على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات^(١) :

= والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» (٢١٠/٨) وأبو يعلى كما في «ابن كثير» وقالوا: «يزيد الرقاشي ضعيف».

ثم ذكره ابن كثير من طريق أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره، وقال:

«وهذا غريب من هذا الوجه، وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معروفون؛ إلا أحمد بن طارق هذا، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح. والله أعلم».

قلت: مسلم بن خالد هو الزنجي، صدوق كثير الأوهام، كما في «التقريب»، فالإسناد لا يخلو من بأس وضعف.

وأخرج أحمد (٧٩/٣) [١١٧٣٧] والحاكم (٥٩٧/٢) عن مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «إني خاتم ألف نبي أو أكثر».

قال الذهبي: «قلت: مجالد ضعيف».

وقال الحافظ ابن كثير: «ورجال إسناده هذا الحديث لا بأس بهم».

كذا قال، والصواب أن مجالداً ضعيف كما قال الذهبي. وجملة القول أن الأحاديث في عدد الأنبياء مع ضعف أسانيدھا متعارضة. وأما عدد الرسل فحديثه صحيح. كما سبق تحقيقه. (ن).

وبذلك يكون كلام المؤلف رحمه الله لا غبار عليه.

(١) إن هذا الرفع يبغي منزلة كل واحد منهم في مكان عظيم.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (١).

وعلينا أن نؤمن بهم جميعاً^(٢)، وبما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب؛ لا نفرق في الإيمان بين أحد منهم:

﴿ءَامَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥) (٣).

وأن من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض لا يعتد الله تعالى بإيمانه، ولا يبالي بتصديقه، فإن الرسل سواء في رسالتهم، ووجوب الإيمان بهم، ولا فرق في ذلك بين رسول ورسول، فالمنكر لرسالة بعضهم منكر لرسالة الجميع^(٤)، ولا فرق عند الله بين من جحد أصلاً من أصول الدين، ومن أنكر الدين كله:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) ولا ينافي التفاوت بينهم في وجوب الإيمان بهم جميعاً من غير تفريق.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٤) وذلك لأن الرسالات يكمل بعضها بعضاً، ونبينا محمد ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثّل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله. فجعل الناس يطيفون به. يقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا. إلا هذه اللبنة. فكنت أنا تلك اللبنة».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا
 بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
 وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
 حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
 أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ (١).

عموم رسالة النبي ﷺ

﴿قُلْ يَتَّيْنَهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
 لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي يَأْتِيكُمُ الْكِتَابُ وَاتَّبِعُوهُ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (٢).

بُعْث [سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ] إلى الناس كافة،
 عربهم وأعجميهم، يهوديهم ونصرانيهم، فشريعته دائمة،

= والحديث متفق عليه وعند أحمد والترمذي وغيرهم عن أبي
 جابر وأبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم واللفظ لمسلم.
 وعلى ذلك فقد نُفي الإسلام عن الذين أنكروا رسالة سيدنا
 محمد من أتباع الأديان السابقة، وحتى إن سيدنا عيسى - عليه
 السلام - عندما يأتي آخر الزمان يكون متبعاً لشريعة الإسلام.

(١) سورة النساء: الآيات ١٥٠ - ١٥٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

وهدايته مستمرة، بعث بكتاب مهيمن على سائر الكتب
السمائية :

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) (١).

آية من آيات الله الناطقة، وحجة من حججه الناهضة،
لا يثقل على السمع وإن تكررت مبانیه، ولا تتناقض عند
ذوي العقول معانيه :

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٢).

أبلغنا قصص الأولين على بُعد أزمنتهم، وأخبار
الماضين على انقطاع الصلة بيننا وبينهم :

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١) (٣).

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢.

(٢) سورة النساء : الآية ٨٢.

(٣) سورة يوسف : الآية ١١١.

ومن ذلك ما قصه عن داود وسليمان عليهما السلام من إلانة
الحديد، وسيلان النحاس، وزعمت الموسوعة الفلسطينية في
القسم الثاني ٥٨/١ : «أنه لا علاقة للملك سليمان أيام دولته
الموحدة باستغلال هذه المناجم...».

أخبرنا بكثير من المغيبات فكان الخبر صادقاً،
والحديث حقاً:

﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ
قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ
يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴿١﴾ لَقَدْ
صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ

= وقالت الموسوعة في ١/١٠٩: «ويخطئ من يظن أن مناجم
النحاس هذه هي مناجم النبي سليمان، لأنه لم تظهر حتى
الآن أدلة أثرية على ذلك...».

وقد رددت عليهم في كتابي «الملحوظات على الموسوعة
الفلسطينية» وفي الملحق «نظرية الموسوعة الفلسطينية» بما فيه
الكفاية.

وبفضل الله انكشف ما في هذه الموسوعة من ضرر وحيث
على فلسطين وأهلها وظلم للإسلام والمسلمين... وتقرر
إيقافها من قبل الذين أصدروها. وتبرأ منها من ساعدها من
الحكومات، وتوقف عن مساعدتها من تبرع لها من الملوك
والرؤساء.

وقد كتب المشرف عليها العلامة الدكتور أنيس الصائغ معلناً
توقفها، مشيداً بـ«الملحوظات» عليها في أكثر من مكان. وكان
آخر ذلك في جريدة «السفير» العدد ٧٥٤٠ بتاريخ ١١/٩/١٩٩٦
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) سورة الروم: الآيات ١ - ٥.

اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ
تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ (١).

كلما اتسع نطاق العلم تكاثرت الأدلة على حقيقته،
وتجددت الآيات على أنه من عند الله:

﴿سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٢).

جاء لتطهير العقائد مما لوّثها، وإبعاد الأخلاق عما
دنسها، ووضع للمعاملات أصولاً عادلة، وقوانين شاملة،
لا تسعد الأمم بدون مراعاتها، ولا يسود السلام إلا
بالمحافظة عليها.

أصلح حال الأسرة، وحدّد واجب الخادم والمخدوم،
والرجل والمرأة، ووضع للمواريث نُظْماً هي غاية في
الحكمة.

حذّر من المنكرات على اختلاف أنواعها، ورغب في
الطيبات على تنوع مشاربها.

فكان جديراً به أن يكون ختاماً للكتب:

(١) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴿١﴾ .

المعجزة

المعجزة: حادث غريب جاء على يد رجل يدعي أنه رسول من عند الله تعالى، من شأن ذلك الحادث أن يكون فوق طاقة المخلوق، كالإناء الحديد لنبي الله داود^(٢)، وإسالة النحاس لنبي الله سليمان، وانقلاب العصا ثعباناً لنبي الله موسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لنبي الله عيسى، صلوات الله وسلامه عليهم، إلى غير ذلك من الحوادث الغريبة التي لا يستطيعها مخلوق، ولا يقدر عليها بشر.

فإذا ظهرت على يد رجل في وقت يدعي فيه الرسالة

(١) سورة الفتح: الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) لم يحدد الله كيف ألان الحديد لداود عليه السلام، ولكن ذكر شيئاً منه بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾، وما كان صنع اللبوس من الحديد إلا بإلائه.

ومن سوء الاستعمال عند بعض الناس أن يزعم أحدهم عن أحد المعاصرين: أن الله قد ألان له علم الحديث!! كما ألان لداود الحديد.. وهذا من سخافة العقول الضحلة، وما تؤدي إليه العصبية والغلو.

عن ربه، والوساطة بينه وبين خلقه في تبليغ دينه، علم أن الله تعالى لا يريد بخلق ذلك الحادث الغريب سوى تصديق صاحبه فيما يدعي، وتأييده فيما يقول، وبذلك تقوم حجته على معانديه، وتُخرس ألسنة خصومه، لأنه يطالبهم بأن يأتوا بحادث غريب كحادثه، ويخرقوا من العادات كما خرق له، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثاله قامت عليهم الحجة، وظهرت لطالب الحق المحجة:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

وقد خرق الله لنبينا محمد ﷺ العادات، كما خرق سلفه من الرسل عليهم السلام.

وأيده بالآيات البينات، وناهيك بمعجزة هي أشرف معجزاته، كتاب الله الناطق، وحجته البالغة ومعجزته الدائمة على مدى الأيام وتكرر السنين، أنزله الله تعالى عليه بعد أن بلغ أربعين سنة.

وهو أمي لم يقرأ سِفرًا، ولم يتعلم خطأ^(٢)، وطلب من العرب الخلفاء الإتيان بمثل ذلك الكتاب فضعفوا، بل طالبهم بسورة من مثله فعجزوا، وليس ذلك عن عُقدة في

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

(٢) زعم بعضهم أنه تعلم الكتابة، وقصدهم من ذلك أنه عرف ما عند الأقدمين من كلام، وهذا كله كذب.

ألسنتهم، ولا عن عِيٍّ في قوة بيانهم، بل لأنه فوق طاقتهم، وخارج عن مقدرتهم^(١).

وهناك آمن به مَنْ آمن، فكان القرآن حجة له، وكفر من كفر فكان حجة عليه.

هذا وإذا ظهر الحادث الغريب على يد من وقف عند حدود دينه، ولم يدّع الرسالة عن ربه، فهو كرامة من الله تعالى لذلك الصالح، كالبركة في طعام أبي بكر^(٢) القليل، حتى شبع منه خلق كثير، وأمثال ذلك من خوارق العادات^(٣).

(١) زعم بعضهم أن الله صرفهم عن ذلك... ولكن وقد مضت القرون وتوسعت الثقافات ولم يوجد من استطاع شيئاً من ذلك.

(٢) وهو الصديق. أول من آمن برسول الله بعد أم المؤمنين خديجة، وكان لرسول الله خير معين. وهو الخليفة الأول وأحب الناس لرسول الله، وابنته عائشة الصديقة أحب نساء النبي إليه.

(٣) قلت: يشير إلى ما في «صحيح البخاري» (١/١٥٩) عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق:

«أن أصحاب الصّفة كانوا ناساً فقراء، وأن النبي ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس».

وأن أبا بكر جاء بثلاثة، فانطلق النبي ﷺ بعشرة. قال: فهو أنا وأبي وأمي - فلا أدري هل قال: وامرأتي - وخادم بيننا =

.....

= وبين أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حيث صُلِّيت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، وقالت له امرأته:

ما حبسك عن أضايك أو قالت: عن ضيفك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد غرضوا فأبوا، قال: فذهبت أنا فاخترت، فقال: يا عُثْرُ فجذع وسب، وقال: كلوا، لا هنيئاً لكم، فقال: والله لا أطعمه أبداً، وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قال: يعني حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها. [فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر منها] قبل ذلك بثلاث مرار، فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ، فأصبحت عنده. وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل، ففرقنا اثني عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناس، والله أعلم كم مع كل رجل؟ فأكلوا منها أجمعون، أو كما قال. (ن).

البحث

قامت الأدلة القاطعة على أن الله تعالى حكيم في صنعه، لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى، لذلك كان من الحكمة أن تكون لهم حياة، وراء هذه الحياة، ينصف فيها المظلوم من الظالم، ويقام فيها قانون العدل بين الخلائق:

﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْتَنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ مُمِخِّيَ الْمَوْتِ ﴿٤٠﴾﴾ (١).

ولو فكر الإنسان فيما حوله من عبر وآيات، وما على الأرض من نبات مختلف، وجنات منشآت، وكيف يحيي الله بالماء الأرض بعد موتها، وتهتز وتربو بعد جمودها، لعلم أن من قدر على ذلك قدير على أن يعيد الخلق إلى ما كانوا، ويرد إليهم الحياة بعد أن فارقتهم زمناً طويلاً:

(١) سورة القيامة: الآيات ٣٦ - ٤٠.

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠) ﴿١﴾
 ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَلَيْنَهَا وَرَبَّنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦) ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٧) ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٨) ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (٩) ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (١٠) ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١) ﴿٢﴾

وأي فرق بين الإعادة والبدء؟ فإذا كان الله تعالى هو الذي بدأ الخلق، ووهب الحياة، فما الذي يحول بينه وبين الإعادة؟

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠) ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) ﴿٣﴾

(١) سورة الروم: الآية ٥٠.

(٢) سورة ق: الآيات ٦ - ١١.

(٣) سورة يس: الآيات ٧٨ - ٨٣.

على أن من شأن الإعادة أن تكون أيسر من البدء،
لأنها جمع لمتفرق، والبدء إنشاء واختراع، وإن كان الكل
تتناوله قدرة الله تعالى، ولا يخرج عن سلطانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ
عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) (١).

اليوم الآخر

اتفقت الكتب السماوية، والشرائع الإلهية، على أن
هناك يوماً هو آخر أيام الدنيا. يقف الله تعالى فيه الناس
على مقادير أعمالهم، ويحاسبهم على ما قدموا للقاء ربهم.
تساق فيه الخلائق بعد خروجها من القبور إلى ربها سوقاً،
ويجمع الله فيه الموتى، فلا يترك منهم فرداً:

﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ
فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.

عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴿١﴾.

وكثيراً ما يخوفنا الله تعالى شدة ذلك اليوم، ويحذرننا شره المستطير:

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨١﴾ ﴿٢﴾.

يوم يحاسب فيه كل على ما قدم، ويجزي عليه الجزاء الأوفى، لا ينفع فيه مال صاحبه، ولا يدفع فيه ولد عن أبيه:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ ﴿٣﴾.

تنقطع فيه الصلات، وتتفرق فيه الجماعات، إلا صلة أساسها الدين، وعروتها الإيمان:

﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٤﴾.

يشد فيه بالخلائق الأمر، ويعظم بينهم الخوف، حتى

(١) سورة الكهف: الآيات ٤٧ - ٤٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨١.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨، ٨٩.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

تنسى المرضعة من شدة الأمر رضيعها، وتضع ذات الحمل حملها:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢) (١).

فلا يجزؤ نبي مرسل، ولا ملك مقرب، أن يشفع لأحد من الخلق إلا بعد أن يستأذن ربه في وساطته، ويرضى عنه في شفاعته (٢):

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٤) يُدِيرُ الْأَمْرَ

(١) سورة الحج: الآية ٢.

(٢) توسع بعض الناس في فهم الشفاعة وحملوها ما تحمل وما لا تحمل. وقد أثبتها الله لبعض خلقه، فنفذ عندما أثبت الله.

كما أن الله قد يعفو عن ذكر من غير شفاعة أحد بفضلته وكرمه. كما في حديث البطاقة وحديث القبضة.

(٣) سورة الأنبياء: الآيات ٢٦ - ٢٨.

(٤) الغريب إن بعض الناس يقيسون أمر ربنا جل شأنه على =

مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

ولا تزال الناس كذلك حتى يفصل بين الخلائق، فإما
إلى جنة، أعدّها الله للمتقين، وإما إلى نار، أعدّها للعصاة
والمجرمين:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُخْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ (٢)، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾
فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ (٣).

= أمورهم الدنيوية، وهم بزعمهم راغبون في تنزيه الله - زعموا -
وغاب عنهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.
وبذلك يكون الاستواء معلوم لله، والكيف مجهول.

(١) سورة يونس: الآية ٣.

(٢) سورة الروم: الآيات ١٤ - ١٦.

(٣) سورة النازعات: الآيات ٣٧ - ٤١.

خاتمة في السمحيات

قد قام البرهان القاطع على أن رسول الله ﷺ صادق فيما يقول، محق في كل ما ادعى، فوجب أن نؤمن بكل ما أخبر به عن ربه، لأن العقل لا يحيله، والمعصوم قد أتى به^(١).

ونؤمن بأن الله تعالى رسلاً لا يعلم عددهم غيره^(٢)، منهم من قص الله على رسوله ﷺ خبرهم، ومنهم من سكت عنه. وأن لهم كتباً سماوية كالتوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى، والإنجيل الذي أنزلهُ الله تعالى على رسوله عيسى، والزبور الذي أنزلهُ على نبيه داود^(٣)،

(١) والمعصوم هنا بهيئتنا محمد ﷺ، وعصمته فيما يخبر عن ربه.

وعلى ذلك فكل دعوى العصمة لأحد من الخلق فإنها في غير محلها، وتجاوز لا معتمد له من دين الله، ولا مستند له من العقل.

(٢) قلت: بلى قد أعلمنا بعددهم بواسطة نبيه محمد ﷺ، فقال:

«إنهم ثلاثمائة وخمسة عشرة» كما عند الحاكم في مستدركه ٢٦٢/٢ وعند غيره. وقد تقدم في الصفحة ٤٩.

(٣) والموجود بين أيدي الناس من هذه الكتب قد دخلها التحريف =

والفرقان الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ وعلى جميع أنبيائه.

[الإيمان بالملائكة]

ونؤمن بأن الله تعالى جنداً عظيماً من الملائكة، وهم عالم مغيب عنا لا تراه أعيننا، ولا تلمسه أيدينا، وأنهم عباد الله مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، وفيهم العامة والخاصة، وفيهم جبريل، وميكائيل، وملك الموت^(١)، وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار، والحفظة الذين يتعاقبون فينا، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، وغيرهم مما

= والتبديل، وقد يكون بقي فيها شيء من كلام النبوة الأولى! ولكن هذا لا يعرف، ويصدق إلا ما قاله الله في القرآن الكريم.

(١) لقد أحسن المصنف صنعا بإعراضه عن تسميته ملك الموت بـ«عزرائيل» فإن هذا الاسم على شهرته عند الناس ليس له أصل في الكتاب والسنة، وإنما هو من الإسرائيليات واسمه في القرآن والسنة «ملك الموت». قال الحافظ ابن كثير في «البداية» (١/٥٧):

«وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بـ(عزرائيل). والله أعلم». (ن).

لا يحيط بعددهم إلا الله تعالى، ولا يقف على تفاصيل أحوالهم غيره.

الجن

ونؤمن بأن الله جنداً آخر من الجن، وهو عالم مغيب عنا كالملائكة، وفيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقد بعث النبي ﷺ لهم كما بعث للإنس:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾^(١).

[رؤية الله في الآخرة]

ونؤمن بأن الله تعالى يُرى في الآخرة كما يليق بجلاله^(٢).

(١) سورة الأحقاف: الآيات ٢٩ - ٣٢.

(٢) أنكر المعتزلة وأتباعهم وأشباعهم رؤية الله في الجنة والله =

.....
= يقول: ﴿وَجُودٌ بِوَيْدٍ نَّاضِرٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراي جهنم، فأكون أول من يَجُورُ من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم. وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم. قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم: فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخرذل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة مَنْ أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخرجوا مَنْ كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصبّ عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تثبت الحبة في حميل السيل. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة =

= والنار - وهو آخر أهل النار دُخولاً الجنة - مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبنى ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب، لا أكون أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيُعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك! أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنّ، فيتمنى. حتى إذا انقطع أمنيته قال الله عز وجل: من كذا وكذا - أقبل يذكره ربه - حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله واللفظ للبخاري.

[الإرادة الكونية والإرادة الشرعية]

ونؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم بالفحشاء، وأنه تعالى خالق كل شيء، وأن للعبد أفعالاً اختيارية عليها يعذب ويثاب، ولا يكلف الله تعالى أحداً إلا ما في وسعه، وأن النفس لا تموت حتى تستكمل أجلها.

وأن الله تعالى فضل الرسل على العالمين كما فضل بعضهم على بعض.

ونؤمن بأن الدعاء ينفع الداعي، ولا يغير شيئاً من علم الله تعالى، كما أن الضرب في الأرض لطلب الرزق ينفع صاحبه، ولا يغير شيئاً من سنن الله في الكون المبنية على ربط الأسباب بمسبباتها، والمقدمات بنتائجها، فالذي يدعو ليجاب، كالذي يأكل ليشبع، ويشرب ليرتوي، ويزرع ليحصد، ويتعلم ليعلم.

فالدعاء سبب عادي شرعي له أثره، وتعبه نتيجه، ما دام قد استوفى ما شرط فيه. نسأل الله تعالى أن يجيب دعوتنا، ويتقبل عملنا.

خاتمة هذه الطلحة

[اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(١) ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢).

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره
الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وكان الفراغ من جمع هذه الرسالة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى
الأولى سنة ١٣٤٤هـ، الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥م.

محمد أحمد العدوي

(١) سورة النمل: الآية ١٩. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

مع تحية إخواتكم في الله
ملتقى أهل الحديث

ahlalhdeeth.com

خزانة القراءات العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنفي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com

المحتوى

الموضوع	الصفحة
تقديم: بقلم زهير الشاويش	٥
التوحيد أولى واجبات المسلم	٥
القرآن والحديث بينا العقيدة	٥
دخول الآراء والأفكار والتأول	٦
القول: إن الله موجود في كل مكان	٦
تنبيه العلماء على الضلال	٧
تدريس هذا الكتاب مع غيره	٧
تكليف الشيخ الألباني تخريج الكتاب	٧
مقدمة المؤلف	١١
تداخل الفلسفة والمتكلمون بالعقائد	١١
اعتماد القرآن في العقائد	١٢
* ^(١) تعليق الألباني لوهم ظنه من كلام المؤلف ...	١٢
الكلام على أمهات العقائد	١٣
* توضيح وجهة نظر المؤلف - رحمه الله -	١٣
الالتفات إلى مخلوقات الله للإيمان	١٣

(١) النجمة (*) تعني أن الكلام في الحواشي.

١٤	أخذ العبر من آيات الليل والنهار . . إلخ
١٥	وجود الله
١٥	الاعتبار بآثار السابقين
١٥	* المشاهد من الآثار العظيمة
١٦	الدلالة على ما تقتضيه الفطرة
١٦	المعقول معرفة الله بآثاره
١٦	حكاية الأعرابي مع الأصمعي
١٦	* ترجمة الأصمعي
١٧	تحول الخلق من طين إلى الإنسان
١٧	النظر إلى آثار الله في مخلوقاته
١٨	* تطور وسائل النقل وأنواع الزراعة
١٩	تفضيل الله بعض الثمار على بعض
٢٠	تنزيه الله عن مشابهة غيره
٢٠	الإله هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء
٢٠	الله الاطلاع الكامل والمشئة النافذة
٢١	الله لا يُسأل عما يفعل
٢١	الإنسان يخطئ ويصيب ويتعب
٢٢	* الله ليس كمثله شيء
٢٣	الله وحده المشرف على خلقه
٢٤	لو كان مع الله شريك لأختل نظام الكون
٢٤	عدم انتظام عبد له آلهة متباينة
٢٥	الشركاء يتنازعون في الملك

الموضوع	الصفحة
ق ٢٥ درة الله ومشيبته	٢٧
ما سخره الله لعباده من مخلوقاته	٢٨
الآيات والعبر في خلق السماء والأرض	٣٠
حياة الله تعالى وعلمه	٣٢
علم الله بما خلق والمنفرد برعايته	٣٢
* الرد على الزاعمين أن الغوث والأقطاب لهم	
التصرف	٣٢
علمه في أطوار مخلوقاته	٣٣
عنده مفاتيح الغيب	٣٤
* ما كان سائداً عن علم الأرحام	٣٥
سمع الله تعالى وبصره	٣٥
احتجاج نبي الله إبراهيم على عباد الأصنام	٣٦
استغاثة نبي الله موسى وهارون	٣٧
إخلاص العبادة لله	٣٧
كلام الله تعالى	٣٨
كيد نبي الله إبراهيم لأصنام قومه	٣٨
كلام الله	٣٩
* لفظ القديم لم يستعمله السلف	٣٩
* افتراض الشيخ الألباني وهم من المؤلف	٤٠
* الرد على ما توهمه الشيخ الألباني من كلام المؤلف	٤١
أفعال الله تعالى	٤١
الله يمد من يعمل للدنيا ويعين من يعمل للآخرة ..	٤٣

٤٣	الله يعطي الدنيا لمن أحبه وكرهه
٤٣	الله لا يعطي الدين إلا من أحبه
٤٤	حاجة الناس إلى الرسل
٤٤	الناس أمة واحدة
٤٥	لطف الله بخلقه بعث الرسل فيهم
٤٥	الرسل أئمة للمتقين
٤٦	الله لم يخلق الناس عبثاً
٤٦	الرسل يأمرون بالمعروف النافع
٤٨	الأنبياء والرسل وصفاتهم
٤٨	الرسول معه شريعة
٤٨	النبي لم يتزل عليه شريعة
٤٩	لا يصح عدد الأنبياء
	* تعليق للشيخ الألباني في عدد الرسل وهو كلام مفيد.. ولكن لا يفهم أن المؤلف أراد ما فهمه الألباني
٤٩	وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين
٥٣	عموم رسالة النبي ﷺ
٥٣	مبعث رسولنا إلى الناس كافة
٥٤	إخبار الرسول بكثير من المغيبات
٥٤	* إلانة الحديد لنبي الله داود
	* إسالة النحاس لنبيه سليمان والرد على الموسوعة الفلسطينية فيما زعمت في «الملحوظات» و«نظرية الموسوعة»
٥٥

	النبي ﷺ طهر العقائد، وأصلح حال الأسرة، وحذر
٥٦	من المنكرات
٥٧	المعجزة
٥٧	بعض معجزات الأنبياء
٥٨	القرآن حجة للمسلم، وحجة على من كفر به
٥٩	الكرامة تكون لغير النبي
٥٩	* قصة أبي بكر مع أهل الصفة
٦١	البعث
٦٢	قدرة الله على البدء دليل على الإعادة
٦٣	اليوم الآخر
٦٤	الحساب العادل
٦٥	الشفاعة لمن يأذن له الله سبحانه
٦٥	* توسع الناس بأمر الشفاعة
٦٥	* قياس بعض أمر الله على ما يجرى للناس
٦٧	خاتمة في السمعيات
٦٨	* تسمية ملك الموت
٦٩	الجن وفيهم المؤمن والكافر
٦٩	رؤية الله يوم القيامة
	* إنكار المعتزلة رؤية الله في الجنة مخالفين قول الله
٦٩	ورسوله
٧٢	الإرادة الكونية والإرادة الشرعية
٧٢	فضل الله الرسل

الموضوع	الصفحة
نفع الدعاء	٧٢
تاريخ الفراغ من تأليف الرسالة	٧٣
خاتمة هذه الطبعة	٧٣
المحتوى	٧٥

مع تحيات إخواتكم في الله
ملتقى أهل الحديث

ahlalhodeeth.com

خزانة التراث العربي

khiwana.co.nr

خزانة المذهب الحنيلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

معتقداتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kavlhasan.blogspot.com